الكلاسيكية والجمال المثالي

نشأت المدرسة "الكلاسيكية" في الفن في العصر الحديث وعاصرت الثورة الفرنسية عام (١٧٩٣م)، وتبنت تلك المدرسة التعبير عن شعار الثورة الأشهر: "العدل – الحرية – المساواة"، لكن الأعمال الفنية الكلاسيكية نفسها تعكس مجموعة من القيم والمفاهيم، ربما لا تتوافق مع شعار الثورة الفرنسية الذي اتخذته المدرسة الكلاسيكية شعارًا لها .

ان المثالية الكلاسيكية التي كانت تمارس تأثيراً متفاوتاً اصطبغ بها الطراز الرسمي وطالبت (الكلاسيكية المحدثة) بالعودة إلى الروح العلمية والعقلانية والمنابع القديمة السليمة ، وهي بمثابة رد فعل ضد فن (الركوكو) ، وفي التصوير اعتمدت الكلاسيكية المحدثة المواضيع النبيلة والخطوط الصارمة من الأساطير القديمة والتاريخ اليوناني والروماني بأسلوب يميل إلى النحت وكانت فيه أجسام الأشخاص أشبه بالتماثيل وما توحي بالنتوء والصلابة كما أن الفن حسب النزعة الكلاسيكية يجب أن يمتثل للعقل لا العاطفة وهذا البعد العقلي يقصد به قيمة معيارية أساساً (قيمة أرسطية) وهذه العقلية للانفعالات الوجدانية هو ما يؤسس للنظرية الكلاسيكية رؤيتها إلى وظيفة الفن أن يسود العقل حتى يصبح هو المعبود، وذلك على اعتبار أن غايتها القصوى تتمثل في تجسيد الجمال في جوهره الخالص المجرد، دون ترك أي بُعد للغيب أو الخيال في هذا التعبير الفني . فمثلاً تتميز أعمال المدرسة الكلاسيكية بتحويل صور الطبيعة إلى قيم زخرفية وأشكال هندسية، فالجمال فيها هو جمال هندسي يخضع لأحكام العقل لا الخيال. فهو جمال هندسي مثالي يستخدم الخطوط الحادة والبناء المحكم, ومن خصائص المدرسة الكلاسيكية غنى اللون، فلا تجد في الأعمال الكلاسيكية تعبيرًا بمساحات لونية كبيرة أو علاقات لونية متداخلة، لكن تجد زخرفة مبنية أساسًا على الخط والتصميم الهندسي المحكم، وتوازن الكتلة مع فخامة التكوين.

لقد نشأت النزعة الكلاسيكية الجديدة على يد الفنان " جاك لويس دافيد (1748–1825) " ، . ويعتبر جاك لويس دافيد هو رائد الكلاسيكية الحديثة وقد عمل دافيد على إحياء تقاليد الفن الروماني فقد كان التكوين في لوحاته يعتمد على قواعد هندسية صارمة؛ فكان الخط وليس اللون موضع اهتمامه، وقد أنشأ دافيد "أكاديمية الفنون" التي كانت ممثلاً للذوق الرسمي للثورة الفرنسية وحاربت جميع الحركات الفنية الجديدة.ومن اعماله (تتويج نابليون وموت سقراط وقسم الاخوة

هوراس) اما الفنان الأسباني "فرانسيسكو جويا" فقد كان معاصرًا لدافيد، وكان يتخذ من الفن وسيلة للتعبير عن أعمق مشاعره الذاتية، وبقدر ما كان دافيد يعتمد على الهندسة والحساب والقواعد الصارمة كان فن جويا يعتمد على إلهام اللحظة؛ وهو ما يعني أن جويا كان يتململ من الكلاسيكية ويخرج في بعض الأحيان عن إطارها المادي. ويمكن القول إن لفظ كلاسيكية هو كلمة إغريقية "يونانية قديمة" تعني(:الطراز الأول) أو الممتاز أو المثل النموذجي، حيث اعتمد الإغريق في فنهم الأصول الجمالية المثالية، فنرى في اعمالهم أشكالا للرجال أو النساء، فقد كانوا ينحتون أو يرسمون الإنسان في وضع مثالي ونسب مثالية، ولقد ظهر الرجل في أعمالهم الفنية وكأنه عملاق أو بطل كمال أجسام، وظهرت النساء وكأنهن ملكات جمال، فالمفهوم الكلاسيكي كان عندهم هو الأفضل بل المثال والجودة.

ومن خصائص الأعمال الفنية في هذه المدرسة أن يسود العقل، وذلك على اعتبار أن غايتها القصوى تتمثل في تجسيد الجمال في جوهره الخالص المجرد، دون ترك أي بُعد للغيب أو الخيال في هذا التعبير الفني.فمثلاً تتميز أعمال المدرسة الكلاسيكية بتحويل صور الطبيعة إلى قيم زخرفية وأشكال هندسية مثالية وأيضًا من خصائص المدرسة الكلاسيكية رصانة الالوان وصرامة الخطوط ونقاء العاطفة